

هجرة الأكاديميين والعلماء من العراق (الدوافع والمعالجات)

فراس جاسم موسى
دائرة البحوث / مجلس النواب

Abstract

This research addresses the problem of migration of academics and scientists from Iraq, the problem that intersect with the interests of the state , people ,and constitute a derogation and a violation of human rights.

And concluded that the concept of academics and scientists who have affected Iraq by their migration are the owners of brains, and concentrated on three reasons mainly lead to brain drain which are: political , economic, and social reasons.

All the above resulted in effects that works both ways: limited positive trend associated with the type of migration,for temporary migration only has positive results like scientific education, expertise and transfer of financial funds, while the negative effects are multiple ,but most notably the loss a state suffers by the lose of those minds, and the low level of scientific research, and relying on foreign countries' experiences.

المقدمة

الهجرة من بلد الى بلد اخريعد أمرا إيجابيا في بعض الحالات كالسعي للرزق أو طلب العلم أو للإطلاع على العالم وثقافته ثم العودة الى الوطن لنشر ما يتم تعلمه ليفيد منه المجتمع ويطور حياته العامة ،وكنتيجة للهجرة الفت الكتب وترجمت ليطلع عليها الناس ويتعرفوا على ثقافة الشعوب وعلومهم وهو حق مشروع لكل إنسان يسعى لزيادة آفاق معرفته وعلمه ,وكان للهجرة بعدا رساليا حيث هاجر الكثير من الأنبياء والرسل إلى أقاصي الأرض لنشر الرسالات السماوية ودعوة الناس الى الأديان التي أرسلهم الله تعالى بها .لكن اليوم أصبحت الهجرة إلى البلدان الأجنبية والعربية في أغلبها طلبا للرزق أو للحصول على الأمان والاستقرار نتيجة للظروف القاسية التي تمر بها الدول العربية وحتى العديد من دول العالم الثالث كل ذلك جاء على حساب التخلي عن القيم والمبادئ والتنازل عن المستوى العلمي للفرد والقبول بأبسط الأعمال الخدمية التي لا تتناسب والمستوى العلمي للأفراد المهاجرين مقابل الحصول على الأمان والاستقرار والحفاظ على الأرواح وفي ذلك خروجا من المسببين للهجرة عن مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي أيدها العراق . غير إن الكثير من المهاجرين من الدول العربية كانوا يهاجرون نتيجة للظروف الاقتصادية التي تمر بها بلدانهم بالرغم من الإستقرار السياسي النسبي الذي يتمتعون به , لكن هجرة العراقيين كانت ومازالت لأسباب اخرى تختلف عن ذلك فالعراق يعد من أغنى بلدان المنطقة ولم يكن الفرد العراقي بحاجة للهجرة طلبا للعيش أو للبحث عن عمل ولكن الظروف القاسية وكثرة الحروب وعدم الاستقرار السياسي هو الذي دفع العراقيين للهجرة إلى الخارج ونذكر منهم خاصة الأكاديميين والعلماء الذين إضافة للأسباب المارة الذكر يضاف عامل جذبهم وإستقطابهم من قبل الدول الأخرى للإستفادة من خبراتهم ومؤهلاتهم .

ولتأثير ظاهرة هجرة العقول البشرية على التنمية الاقتصادية بصفة عامة، والتنمية البشرية بصفة خاصة في العراق ولتوقف تقدم البلد وتطوره على إستمرار الإفادة من هذه العقول ,كان لابد من التركيز على هذه الظاهرة لمعرفة أسبابها وآثارها الايجابية والسلبية والعمل على الحد من الآثار السلبية

والتركيز على الآثار الايجابية في محاولة للاستفادة من هذه العقول المهاجرة0 سيما وإن العراق يمر بمرحلة دقيقة وحساسة هي مرحلة البناء والتغيير الشامل

وعلىنا أن نبحث هذه القضية من خلال تحديد محاور لدراستها بالشكل

الآتي :

أولاً : الأكاديميين والعلماء : تحديد المفهوم والخصائص .

ثانياً : أسباب هجرة الأكاديميين والعلماء .

ثالثاً : نتائج هجرة الأكاديميين والعلماء .

رابعاً : المعالجات والبدائل .

أولاً - الأكاديميين والعلماء :تحديد المفهوم

الأكاديميين لغة : أسم مأخوذ من اللغة الإنكليزية ,من كلمة (academics) وترجمتها الحرفية (أساتذة الكليات والجامعات)¹, وأصبحت بفعل التبادل العلمي والإحتكاك بالمجتمعات الأوربية والتأثر بها والإقتباس اللفظي منها تطلق لدينا على الحاصلين على الشهادات العليا.

العلماء لغة: من علم ,والعالم من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلامة قال الله عز وجل (وهو الخلاق العليم) وقال (عالم الغيب والشهادة) وقال (علام الغيوب) فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه وبما يكون ويجوز أن يقال للإنسان الذي علمه الله علماً من العلوم عليم كما قال يوسف للملك إني حفيظ عليم وقال الله عز وجل إنما يخشى الله من عباده العلماء فأخبر عز وجل أن من عباده من يخشاه وأنهم هم العلماء وكذلك صفة يوسف عليه السلام كان

عليماً بأمرِ رَبِّهِ وأنه واحد ليس كمثله شيء إلى ما علَّمه الله من تأويل الأحاديث الذي كان يَقْضِي به على الغيب فكان عليماً بما علَّمه الله² .

علينا في هذا المبحث أن ننطلق بموضوعية نحو المفهوم الإصطلاحي للأكاديميين والعلماء

لنقف على تعريف مناسب وشامل للمفهوم ولنحدد السير الموضوعي للمبحث، وفي هذا الإطار نقول هل يمكن إطلاق لقب الأكاديمي والعالم على كل شخص يحمل شهادة دراسية في أي مستوى كان أم لمستوى دراسي معين؟

فمن خلال التعريف اللغوي يتبين لنا أن لفظة الأكاديمي تطلق على أساتذة الكليات والجامعات أي الحاصلين على الشهادات العليا حصراً دون النظر إلى الجانب الموضوعي في نوعية الأستاذ أي لقبه العلمي أو بحوثه المنشورة . وما نرمي إليه في هذا البحث هو تحديد أكثر اتجاهها لمفهوم الأكاديميين والعلماء وهو إضفاء بعد فكري وإنتاجي للأكاديميين والعلماء في مجال هذا البحث ، أي أن نضع تعريفاً محدداً لتوجيه الإطار الموضوعي للمبحث وهو (هجرة الأكاديميين والعلماء من أصحاب العقول المفكرة) .

أي أصحاب الكفاءات منهم . وذلك لأن الجانب النوعي والمضمون في الأكاديميين والعلماء هو الجانب الذي يتضرر من هجرته وفقدانه البلد ، وليس الجانب الشكلي ، وفي هذا الإطار يتوجب علينا تحديد صفات معينة لأصحاب العقول المفكرة من الأكاديميين والعلماء لنقف بشكل واضح على الحدود الموضوعية للمبحث .

وعلى وفق بعض الدراسات الحديثة حول أصحاب الكفاءات يمكن تحديد بعض صفات العقول المفكرة ومنها:³ شهادة في الدراسات العليا ، الدرجة العلمية ، العمل في مجال الاختصاص وفي أماكن تتمتع بامتلاكها خبرة علمية وتقنية ، عدد سنوات الخبرة ، عدد الأبحاث العلمية عدد براءات الاختراع ، الشهرة العلمية .

يبقى أن نبين إن لهجرة العقول ثلاثة أنواع كما انصرفت بعض الدراسات⁴ هي : الهجرة إلى الخارج ، (المهاجرين) منهم وهذا ما يهتم به هذا البحث

وستبنى عليه مباحث البحث , والهجرة الداخلية والمراد بها أن تنحصر اهتمامات الكادر العلمي في علوم غير مستخدمة في دولته ولا تخدم المشكلات التنموية الملحة فيه بحيث لا ترتبط أبحاثه ومشكلات وطنه وتكون عقليته متآلفة مع معايير المهنة السائدة في دول أخرى , النزيف الأساس وفيه تهدر الكفاءات العلمية ويعجز صاحبها عن استثمار طاقاته وتنميتها بسبب إحباطه داخليا .

وبعد تحديد المفهوم وخصائصه نحتاج الى معرفة الأسباب الحقيقية التي تقف وراء هجرة هذه الفئة الحيوية لان ذلك يعيننا على وضع إستراتيجية فاعلة لحل هذه المشكلة وإيقاف هذا النزيف وتجنب عودتها مرة ثانية , وهذا ما سنبحثه في المبحث الثاني .

ثانيا - أسباب هجرة الأكاديميين والعلماء من أصحاب العقول المفكرة

توفرت عوامل كثيرة أدت الى هجرة الأكاديميين والعلماء نتجت عنها الهجرة من دول خاسرة الى دول رابحة كما تفيد الدراسات المتصلة بهذا الموضوع⁵ وما نلاحظه ان هجرة هذه الفئة كانت من الدول النامية الى الدول المتقدمة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية منها وأوروبا الغربية وكندا وأستراليا , وعليه يمكن تكوين إطار عام لأسباب هجرة العقول المفكرة تتمثل بعوامل طرد :منها تصدع الاستقرار السياسي, وضعف المستوى الإقتصادي وضعف الإهتمام بالعلماء والأكاديميين, انخفاض دخولهم والفجوة التقنية بين الدول النامية والمتقدمة , اما عوامل الجذب فهي المناخ السياسي والإقتصادي الملائم وحرية التفكير والتشجيع وإيلاء إهتمام واسع من قبل دول الجذب والتقنية العالية .

وللحالة العراقية خصوصياتها حيث إن السياسات السابقة لم تكن تعي أهمية استثمار قدرات الكفاءات والكوادر العلمية في التقنيات الحديثة لتطوير البنية التحتية للبلد وإنما انصب اهتمامها على التحكم بمقدرات الدولة للقيام بتطوير الترسانة العسكرية والتقنيات العسكرية واقتناء التقنية العسكرية الجاهزة

من الدول الكبرى ,بينما نجد ان الدول المتقدمة تولي اهتماما بالغاً في استثمار رأس المال البشري وتخصص موازنات ضخمة لتدريب الأفراد وتحسين أساليب التعليم والتدريس لتتناسب مع تطور التقنية الحديثة ,لكن المؤسسة السياسية في العراق لم تشجع بالقدر المناسب البحث العلمي السلمي الذي يمكنه تشجيع العقل العراقي الكفوء والحد من استنزافه إضافة لما سبق أضيفت عوامل أخرى عمقت من هجرة الأكاديميين والعلماء بعد التغيير في العراق في عام 2003م وما تلاه من الأعوام حيث ان الفوضى التي عاشتها البلاد في هذا العام تحديداً حتى بلوغ العام 2006م وأحداث سامراء وما نتج عنها من بروز بيوض الفتنة الطائفية وأعمال القتل و التهجير القسري الداخلي دعت الآلاف من العوائل الى الهروب خارج البلاد ومنهم العلماء والأكاديميين خاصة ,واكتسبت هجرتهم الخصوصية بسبب ما تولد من قناعة لدى معظمهم إن هنالك مخطط لإفراغ العراق من محتواه العلمي عن طريق تصفية صفوفه العلمية فشعروا بالحاجة الى ملاذات آمنة في دول أخرى فمنهم من لجئ الى دول عربية ومنهم من لجئ الى دول أوروبية.

وبشكل عام يمكن تحديد وتلخيص بعضاً من أسباب هجرة الأكاديميين والعلماء أصحاب العقول المفكرة خلال العقود الأربع الأخيرة من خلال النقاط الإجمالية الآتية :

1- الأسباب السياسية :

تعد الأسباب السياسية من أهم عوامل هجرة العقول العراقية قبل وبعد التغيير الشامل في العراق في عام 2003م ,وذلك لطبيعة المرحلتين السابقة واللاحقة للتغيير في العراق ,حيث مرالعراق بظروف سياسية مركبة داخلية وخارجية, ففي الإطار الداخلي كان للسياسات المتبعة في تضيق هامش الحرية والفكر حتى وصل الأمر الى اشتراط ما كان يسمى (السلامة الفكرية) للأكاديمي والعالم ليتسنى له ممارسة درسه وعمله إضافة الى ربط الامتيازات والمنافع بالولاء والانتماء للقيادة السياسية والحزب الحاكم مع الإشارة الى ان بعض الأكاديميين والعلماء قد ماشوا هذا الاتجاه وفي ذات الوقت رفض الكثيرون هذا

الواقع مما حدا بهم الى الهجرة , وكان لغياب الحريات السياسية والعلمية وتفشي المحسوبية والمنسوبية علاقة مباشرة لهجرة العديد من الأكاديميين والعلماء وتشير بعض الاحصائيات الى هجرة حوالي (6848) طبيب ومهندس وتقني وأستاذ جامعي ومعلم عراقي الى الولايات المتحدة بسبب الظروف السياسية خلال الأعوام 1972-1976م.⁶ وفي الإطار الخارجي لم يكن العراق بمعزل عن الأحداث التي كانت تحدث في محيطه العربي والإسلامي كونه جزءا مهما منها فعلى سبيل المثال كان لنكسة حزيران في عام 1967م ذات الأبعاد القومية والإسلامية أثرا واضحا في زيادة أعداد المهاجرين بشكل عام والعقول منهم بشكل خاص من العراق ومصر وفلسطين وسوريا باتجاه الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1969م حتى بلغ عددهم ما يعادل مجموع المهاجرين إليها من تلك الأقطار خلال الفترة 1962-1966م,⁷ ومما يعكس وجود مشكلة حقيقية في هجرة الكفاءات التشريع الذي أصدرته الحكومة العراقية الذي يحمل اسم (قانون رقم 154 لرعاية أصحاب الكفاءات) لسنة 1974م الذي يمنح الكفاءات كما من المحفزات المادية لعودة الكفاء منها تغطية تكاليف السفر له ولعائلته وإعفائه من الضريبة لمدة عام واحد ومنحه قطعة أرض مع قروض لبنائها ومع ذلك لم يستجب لهذه الدعوة سوى عددا منهم وخاصة طلبة الدراسات العليا الذين أنهوا دراساتهم بدليل تجديد الحكومة دعوتها بعد مرور سنوات حيث أشر هجرة عددا من العائدين بعد مدة من الزمن, وقد بلغ عدد العائدين حينذاك (702) كفاء من دول عربية وأجنبية في مختلف الاختصاصات العلمية والإنسانية , ومن مسببات عدم نجاح هذا القانون في تحقيق جميع أهدافه_حسب رأي الباحث_ هو عدم كون العامل الاقتصادي لوحده سببا في هجرة تلك الكفاءات بل لارتباط عوامل أخرى في هجرتهم وأهمها العامل السياسي في تلك الفترة , وكان لدخول العراق الحرب مع إيران عام 1980م .

أثرا آخر في اتساع دائرة المهاجرين من العقول المفكرة لاضطراب المناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يؤثر بالضرورة على النخبة من الأكاديميين والعلماء من حيث تضيق الفكر وهامش الحرية وقلة التخصيصات

المالية لعملهم والتصدع الاجتماعي الذي أفرزته تلك الحرب على العام والخاص من الشعب العراقي ,ثم جاءت أزمة الخليج الثانية وحربها 1990-1991 وما رافقها من فرض لعقوبات شاملة على العراق أربكت الوضع العام في البلاد ومنه الوضع السياسي لتؤثر بشكل بارز في حركة هجرة العراقيين وفي مقدمتهم أصحاب العقول المفكرة وذلك لعجزهم عن العيش في بيئة مضطربة سياسيا لا تلبى ولا تستوعب طبيعتهم وحاجاتهم العملية من جانب والتسهيلات التي قدمتها الدول الأوربية خاصة في احتضانهم من جانب آخر ومن المفيد ذكره إن هجرة الأكاديميين والعلماء أخرجت الحكومة العراقية السابقة الى حد اضطرها الى فرض قيود مشددة تمنع سفر الكفاءات الى الخارج .

واستمرت هجرة الأكاديميين والعلماء بتزايد حتى جاء العام 2003م ليحمل معه شحنة من الأسباب التي أجبرت مئات الآلاف من العراقيين على الهجرة حتى وصل العدد حسب إحصاءات وزارة المهجرين والمهاجرين الى (1664199) في مختلف دول العالم وحسب المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة يبلغ عددهم (1830000) كحد أدنى و(2280000) كحد أعلى في دول سوريا والأردن ولبنان ومصر وإيران وتركيا لغاية أيلول من العام 2007م⁸ وفي طليعة هؤلاء المهاجرين العلماء والأكاديميين وذلك كما بينا لأنهم الفئة الأكثر تأثرا بالعوامل السياسية المرتبطة بالهجرة ,كما هاجر العديد من العراقيين الى دول أوربا وأمريكا وأستراليا حيث بين رئيس وزراء بريطانيا طوني بلير أن عدد الجالية العراقية في بريطانيا بلغ (350000) في مارس عام 2003م ومن المعروف أن بريطانيا كانت غالبا ما تمنح حق اللجوء السياسي والإنساني للعراقيين بسبب ظروف الاضطهاد التي عاشوها ,عموما قدرت نسبة الأكاديميين المهاجرين في الحقول العلمية _حسب بعض الباحثين _ 5% من عدد المهاجرين وقدر آخرون عددهم ب(30000) الفا⁹ ففي بريطانيا مثلا يقدر عدد الأطباء العاملين في المستشفيات البريطانية ب(2000) طبيب في جميع الاختصاصات. ومجمل القول ان العوامل السياسية التي أدت الى هجرة الأكاديميين والعلماء من أصحاب العقول المفكرة كانت ربما

تلعب دورا حاسما لوحدها بسبب قوة هذه العوامل التي تعيق مسيرتها العلمية والعملية ,ولايمكن أيضا في أي حال من الأحوال فصل العامل الاقتصادي عن دائرة التأثير المباشر في زيادة هجرة العلماء والأكاديميين الأمر الذي سنتناوله في ثانيا من هذا المبحث .

2- الأسباب الاقتصادية :

تعد الأسباب الاقتصادية مسؤولة الى جانب الأسباب السياسية الى حد كبير في هجرة العلماء والأكاديميين ,ودفعهم لاتخاذ قرار الهجرة حينما يجدون الظروف المناسب لعمل ذلك .

وكما في الأسباب السياسية كان للمحور الاقتصادي في التأثير على هجرة العلماء والأكاديميين خطين مؤثرين بارزين :أولهما الخط الداخلي حيث سوء التخطيط الاقتصادي الداخلي في العراق خاصة بعد تداخل العوامل السياسية في المحور الاقتصادي في توجيه التخصيصات المالية باتجاه البحوث العسكرية وتطوير الآلة العسكرية دون التوازن في الإنفاق على البحوث المدنية السلمية مما أدى الى شل بعض القطاعات العلمية وإفقار باحثيها ومخصصها الأمر الذي مثل دورا مهما في تعزيز توجهاتهم نحو الهجرة ,إضافة الى ربط الولاء- الذي أشرنا إليه- للقيادة الحاكمة آنذاك للحصول على الامتيازات والمنافع الاقتصادية سواء في تقلد الوظائف العامة أو غيرها .

أضف الى ذلك عدم اعتماد موازنة موضوعية بين المخرجات والمدخلات التعليمية مما أدى الى تكدر الأكاديميين في ساحة البطالة مما اضطرتهم لمزاولة مهن ليس لهم علاقة بها كالعامل في سيارات أجرة أو بيع السلع وغيرها ,وحتى في حال عمله في مجال إختصاصه فإنه لم يكن يتقاضى في عموم الأحوال سوى بضعة دولارات شهريا قياسا بدول اخرى كانت ترنو عيون أكاديمينا وعلمائنا نحوهم ولا تعد هذه الفوارق مشكلة عراقية فقط فقد عانت منها دول عربية أخرى كمصر التي كان يتقاضى أساتذة الجامعات فيها مبلغ (540000) الف جنيه مصري خلال ثلاثين عاما ,بينما قرينه الأستاذ المعار الى إحدى الجامعات

الخليجية يتقاضى خلال ست سنوات ما يعادل قرابة (مليون) جنيه مصري.¹⁰ ومما يؤشر أيضا قلة الإنفاق على البحث العلمي والتطوير مع الإشارة الى أن العراق يعد بلدا متوسطا بين الدول العربية في حجم إنفاقه على البحث العلمي حيث بلغ إنفاقه في التسعينيات (56.8) مليون دولار قياسا بمصر التي تقع في مقدمة الدول المنفقة حيث بلغ إنفاقها (174.6) مليون دولار وفارقا بفرق شاسع عن موريتانيا التي أنفقت (300000) دولار فقط والصومال (1) مليون دولار¹¹، لكن قياسا بمقدرات العراق وتفوقه المالي يعد هذا الإنفاق ضعيفا جدا، إذا ما قارناه بناتجه القومي وإنفاق دول أوربية وآسيوية كألمانيا الاتحادية التي أنفقت في عام 1991م (2.66%) من إجمالي ناتجها القومي وتايوان (1.69%) من ناتجها القومي على البحوث العلمية. أضف الى هذا الخط قدم التقنيات العملية الحديثة وعدم مواكبتها بشكل مناسب لعصر الحداثة وذلك أيضا في جزئه السياسي قد يرتبط بتعمد النظام السابق من منطلقات الحفاظ على أمنه الخاص في استبعاد بعض التقنيات الحديثة والسيطرة عليها كتقنيات الاتصالات وغيرها.

أما الخط الخارجي فيرتبط بالمنظومة العربية والدولية بشكل عام وكذلك بالأحداث السياسية وتقلبات الأوضاع الاقتصادية وتأثيرها على العراق أما نتيجة لسياسات العراق نفسه وخططه السياسية والاقتصادية أو لتأثير سياسات المنطقة تجاهه واتجاه غيره مما ينعكس عليه.

إتصل تأثير الأحداث السياسية على العامل الإقتصادي الطارد للأكاديميين والعلماء خاصة بعد عام 1990-1991م حيث فرض الحصار الإقتصادي الشامل على العراق جراء إجتياح العراق للكويت في هذه الفترة ومقاطعة أغلب الدول العربية والأجنبية للعراق وما أعقبه من تدمير للبنى التحتية للإقتصاد العراقي في جميع المجالات وكان للعقول نصيب من ذلك الدمار حيث إلى جانب تدهور المعاهد التعليمية في كل المراحل وشيوع ظاهرة التسرب وانخفاض مستوى التعليم، واجه العراق ظاهرة هجرة العقول بأعداد كبيرة، حيث يقدر رسميا أن أكثر من (23) ألف باحث وعالم وأستاذ جامعي وطبيب متخصص

ومهندس مرموق تركوا العراق خلال تلك الفترة لينضموا إلى أكثر من (2.5) مليون آخرين انذاك يعيشون في المنافي الطوعية، نسبة كبيرة منهم من حملة الشهادات العليا.¹²

واستمرت هجرة العقول بتزايد مع زيادة تدني المستوى الإقتصادي والمعيشي وتقدم التقنيات العلمية وزيادة عزلة العراق الإقتصادية والعلمية، حسب ما بينته بعض الإحصاءات الخاصة بالهجرة التي بينت فيها تزايد أعداد المهاجرين ومنهم العقول المفكرة.¹³

حتى أقبل عام 2003م الذي حمل معه أسبابا إضافية في مقدمتها تردي الوضع الأمني التي تعمق من هجرة العقول لإرتباط هذه الفترة بتوقف معظم مفاصل الدولة العلمية وتوقف المؤسسات العلمية ومشروعاتها بسبب الظروف الإستثنائية المعقدة التي مرت بها البلاد، وبروز إفرازات تلك المرحلة كتعقد الوضع الأمني والسيناريوهات التي خرجت في إستهداف حياة الناس عن طريق عمليات الإغتيال المنظمة والتفجيرات وما سواها، وبشكل خاص إستهداف العقول المفكرة التي تعد سندا وسببا لقيام دولة متقدمة في تكنولوجيتها وإقتصادها وسياستها، كما أثبتت الدراسات ذلك حيث أن 90% من زيادة النمو الإقتصادي في الدول المتقدمة يرجع الفضل في تحقيقها إلى التقدم العلمي والتقني، كما أن 50% من الزيادة في حصة الفرد من الدخل القومي تعود للسبب ذاته، ولذلك فإن الدول المتقدمة تستحوذ على 95% من العلماء في العالم، وتستحوذ أيضا على النسبة ذاتها من البحث العلمي، وعلى 97% من براءات الاختراع في العالم، في حين أن عدد سكان هذه الدول لا يتجاوز 12% من عدد سكان العالم، وتستحوذ أيضا على 64% من الدخل العالمي.¹⁴ وتزايدت هجرة العراقيين والعقول منهم بشكل خاص خلال الفترة الممتدة (2003-2007م) وبشكل أكثر خصوصية بعد أحداث تفجير مرقد الأئمة في سامراء وما تولد عنها من محاولات زرع الفتنة الطائفية بين أبناء الشعب الواحد، كل تلك الأسباب عمقت من خلق واقعا إقتصاديا يتقاطع مع الطموحات الإقتصادية للعقول المفكرة ودفعهم للهجرة.

3- الأسباب الإجتماعية :

كان لبعض خصائص البيئة الإجتماعية في العراق أثرا إضافيا في تغذية أسباب هجرة العلماء والأكاديميين على إمتداد العقود السالفة ,وبنسب متفاوتة ,ومن خصائص تلك البئية المؤثرة هو عدم تفهم المجتمع والمؤسسة السياسية لأهمية البحث العلمي والصناعات المتطورة ،وذلك ما لاحظناه من إرتباط موازنة البحث الضئيلة مع موازنة التعليم العالي ،إضافة الى اثار الحروب التي خاضها العراق على مدى العقود الماضية في البيئة الإجتماعية وعلاقاتها وما سببته من تمزيق للبيئة الإجتماعية علاوة على مبدأ(عسكرة الشعب) وزج الأكاديميين لسنوات طويلة في الخدمة العسكرية دون وعي لأهميتهم في الحياة المدنية ,كما إن عدم موازنة مخرجات ومدخلات العملية التعليمية _الذي ذكرناه_أدى الى إنتفاخ حجم البطالة التي أرهقت الأكاديميين وأصحاب الشهادات العليا منهم خاصة الأمر الذي قلل من أهمية الحصول على الشهادات وطغيان المذهب المادي في حياة الناس نتيجة لزيادة معدلات الفقر خاصة في فترة التسعينيات .

وبعد العام 2003م حيث التغيير الشامل الذي إتبعته سوء الأحوال الأمنية ومحاولات زرع الفتنة الطائفية والعنصرية تلك المحاولات التي حصدت مئات الالاف من الناس ومنهم الالف العلماء والأكاديميين والمفكرين من أصحاب العقول المفكرة ,وما نتج عنها من تموقع القوميات والطوائف وتمزق النسيج الإجتماعي لفترة من الزمن ما أثر بشكل سلبي على العقول وأضطرهم الى الهجرة بحثا عن ملاذ امن هذه المرة ,نضيف الى العوامل الإجتماعية بعض السلوكيات التي أسهمت ولو بنسب أقل في تنمية الهجرة ومنها :النظام الإداري في مؤسسات الدولة, ووضع الشخص غير المناسب في المكان المناسب مما شكل عامل إحباط للعقول إضافة الى التمييز وإعتماد مبدأ الولاء للقيادة في منح العلاوات والإمتيازات وطمس العديد من الأعمال المبدعة التي أنجزتها العقول ،إضافة الى إن غياب الحياة الديمقراطية وخنق حرية الرأي وتردي الخدمات العامة حدى بالعقول خاصة التي أتيح لها فرصة السفر الى الدول المتقدمة

ومقارنة ما يجري في العراق بتلك الدول الى التفكير في الهجرة والإستقرار في الدول المتقدمة .

أضف الى تلك الأسباب عوامل أخرى كغياب التشريعات المناسبة لتشجيع العقول المفكرة في مزاولة عملها وغياب المؤسسات والهيئات -بشكل ملائم- الحاضنة لعملهم .

كل تلك الأسباب والعوامل مجتمعة أو متفرقة أو متداخلة أدت بالضرورة الى هجرة الأكاديميين والعلماء من العراق والإنتقال الى مجتمعات أخرى يجدون ضالتهم فيها.

ومما لا شك فيه إن لهجرة العقول المفكرة آثارا عديدة تنعكس على واقع الدولة العام في جميع اتجاهاتها , ويحتاج الأمر منا أن نتبين طبيعة هذه الآثار وحجمها وماهيتها وهل تنعكس سلبا أم إيجابا على الواقع العراقي ؟ كل هذه التساؤلات ستكون محل بحث المبحث الثاني .

ثالثا - اثار هجرة الأكاديميين والعلماء

تتباين الآراء حول طبيعة نتائج هجرة العقول ، فهناك من يرى أن دول الأصل المصدرة للكفاءات تجنى ثمارا ايجابية نتيجة هجرة كفاءاتها ويبرر أصحاب النتائج الايجابية ذلك بان الهجرة هي أولا حق انساني للعالم والباحث وللعلم أيضا⁰ وثانيا أنها تعنى المشاركة في إنتاج المعرفة الإنسانية وتطويرها، حيث أن العلم لا وطن له، وثالثا بقاء الجسور مشدودة بالوطن الأم بقصد الاستفادة من خبرات العلماء المهاجرين⁰ وفي مقابل هذه الرؤية المتفائلة هناك رأى آخر معارض لهجرة الكفاءات يرى أن هجرة العقول ما هي إلا استنزاف لمورد رئيس من موارد التنمية ينتج عنه آثار سلبية كثيرة⁰ وفيما يلي سوف نستعرض النتائج الايجابية والسلبية لهجرة العقول البشرية على العراق :

أولا - النتائج الايجابية:

يرى أصحاب الراى المتفائل بهجرة العقول البشرية أن لهذه الظاهرة نتائج ايجابية لعدة اعتبارات منها أن الكفاءات المهاجرة تنتقل إلى مجتمع أكثر تقدما يوفر لها ظروف عمل ومعيشة أفضل مما يؤدي إلى ارتفاع إنتاجها ويساهم في تطوير المعرفة والتقدم البشرى، علاوة على أن وجود العلماء في الخارج يعد مكسبا لأنه يفتح قنوات للبلد كي يتقدم من الناحية العلمية والتنفيذية⁰

ويسوق أصحاب هذا الراى عدة حجج تؤيد نظرتهم المتفائلة تجاه ظاهرة هجرة العقول البشرية وما يترتب عليها من نتائج ايجابية وهى:-

1) استغلال إبداعات العقول البشرية:-

إذا كانت هذه العقول لا تستغل في البلد لعدة اعتبارات سواء أكانت مادية أم سياسية أم اجتماعية كما سبق أن أوضحنا، فإن هجرة هذه الكفاءات إلى الخارج قد يساعدهم على إستغلال طاقاتهم وإبداعهم بعد توفير البيئة اللازمة لذلك في بلدان المهجر.

2) التحويلات المالية التي يرسلونها للوطن:-

تحسين ميزان المدفوعات من خلال تحويلات المهاجرين ويتوقف ذلك على طبيعة الهجرة مؤقتة أم دائمة ففي حالة الهجرة المؤقتة يعتمد المهاجرون الى تحويل جزءا من ايرادهم وقد تستثمر تلك التحويلات في مشروعات خاصة وإن كانت في الغالب في مجالات غير منتجة كالأراضي والعقارات ،أما في حالة التحويلات الدائمة وهذه السمة الأبرز للمهاجرين من العلماء والأكاديميين فإن تحويلاتهم لاتعدو عن مساعدة عوائلهم الذين لم يلتحقوا بهم .ودعما لهذه النقطة في تقرير البنك الدولي¹⁵ سنة 2006 م ورد أن حوالي (200) مليون شخص من الدول النامية يعيشون خارج أوطانهم الأصلية تبلغ تقديرات تحويلاتهم المالية إلى تلك الدول حوالي (225) مليار دولار سنة 2005م وهو يعد أكثر بكثير من المساعدات الأجنبية التي تتلقاها الدول النامية.

3) مساعدة القادمين الجدد بالخارج من أبناء الوطن الأم:-

إن وجود هذه الكفاءات في الخارج خاصة وأنهم يتولون مناصب هامة في بلد المهجر، فمن حكم منصبهم هذا يساعدون في عمليات القبول بالجامعات للمبعوثين الجدد، بجانب المساعدة في الأمور الاجتماعية الأخرى مثل الإسكان والتكيف مع المجتمعات الجديدة.

(4) الإسهام في حل مشكلة البطالة أو الحد منها:-

إن من سمات الدول النامية ومنها العراق، ارتفاع معدلات النمو السكاني وانخفاض معدلات النمو الاقتصادي الأمر الذي أدى إلى انتشار ظاهرة البطالة، لذا فإن الهجرة تشكل حلاً مؤقتاً وجزئياً لهذه الظاهرة الخطيرة⁰

(5) الاستفادة من خبرات العلماء والأكاديميين الذين يكتسبون خبرات إضافية نتيجة التقدم العلمي في بلدان المهجر في حال عودتهم وتوظيفها في خدمة بلدهم .

نلاحظ من بعض النقاط الإيجابية لهجرة العقول المفكرة إن هذه النقاط ترتبط إلى حد كبير بالهجرة المؤقتة لهم وليس في حال الهجرة الدائمة السمة الأكثر بروزاً لهجرة العقول .

ثانياً - النتائج السلبية :

أحدثت هجرة العقول إلى الخارج أثراً اقتصادياً واجتماعياً واسعة النطاق في الوقت الذي تزداد فيه حاجتها إلى خبراتهم ومعارفهم وهو ما أربك عملية التنمية فيها وعرقل مسارها .ويمكن معرفة النتائج السلبية في النقاط الآتية :

1-يتحمل البلد الخسارة الأولى لهجرة العقول لأنه إبتداء قد تحمل الممصروفات المترتبة على عملية الدراسة والكلفة التي يتحملها المجتمع ككل في تنشئة هؤلاء الأفراد ليستفيد من توظيف مخرجات تعليمه في تطوير مؤسسات الدولة والمجتمع فبعض الإحصاءات السابقة المتوفرة لسنوات سابقة يساعدنا في فهم حجم الخسائر المادية التي تتكبدها الدولة في تخريج الأكاديميين حيث بلغت كلفة تخريج الطالب الواحد في كلية الطب ما يقارب (15000) ألف دينار في السبعينيات أي ما يعادل (45000) دولار أمريكي¹⁶ وتشير الموازنات للأعوام (2006-2009) إلى تكبد الدولة مبالغ ضخمة جداً

للإنفاق على تخريج طلبة الجامعات حيث بلغ تخصيص جامعة بغداد فقط الدولة (للعام 2006م / 85.287391 مليار و) (للعام 2007م / 133.175 مليار و) (للعام 2009م / 639.019567 مليار دينار للإنفاق على القرطاسية والمطبوعات وتعويضات الموظفين،¹⁷ ونستطيع أن نستنتج من ذلك حجم الخسارة التي يتعرض لها البلد نتيجة ذلك. أضف الى ذلك خسارة أخرى تتكبدها الدولة والمجتمع في تولد النقص الحاصل جراء هجرة العقول والحاجة الى تعويضه بخبرات أجنبية تكبد الدولة أضعاف ما كانت ستنفقه على خبراتها المحلية. علاوة على إنتقال المدخرات الخاصة للمهاجرين .

2- ضعف وتدهور الإنتاج العلمي والبحثي في الدول العربية وذلك بمقارنته بالإنتاج العلمي في الدول المتقدمة والذي هو في الواقع نتاج للكفاءات العربية المهاجرة⁰

3- إرباك خطط التنمية في الوقت الذي يحاول العراق فيه أن يلحق بركب الدول المتقدمة، فتضع الخطط التنموية الشاملة وتبعث ببعض العناصر البشرية للإطلاع والدراسة على أمل أن يعودوا إليها ويسهموا في دفع عجلة التقدم، ولكن للأسف فكثيرا من هؤلاء لا يعودوا إلى الوطن مما يؤدي إلى إرباك خطط التنمية⁰

4- هروب رأس المال البشري من أماكن الحاجة إليه إلى أماكن الوفرة، إن هجرة الكفاءات يحرم البلاد من عنصر مهم من عناصر التنمية ألا وهو رأس المال البشري، بينما الدول المستقبلية لهذه الكفاءات هي في الأصل دول متقدمة وليست في حاجة إلى هذا العنصر، مما يؤدي الأمر إلى زيادة الدول المتقدمة رخاء على رخاءها وحرمان الدول النامية وزيادة فقرها⁰

5- إعتماذ البلد على الدول الأجنبية اقتصاديا وتكنولوجيا .

6- إفراغ المجتمع من العناصر التي تحصن المجتمع من الجهل والتخلف والتي تضمن التقدم العلمي المستمر للبلاد كما إنها العناصر الضامنة للمحافظة على

البلاد من الضعف الأمر الذي يجعلها محط التدخلات والهيمنة من الدول المتقدمة .

تمثل تلك النقاط بعضا من أهم النتائج والآثار السلبية لهجرة العلماء والأكاديميين التي تعد نزيفا في بنية العراق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ووصلت الى حد لايمكن معه الوقوف سكونا دون حراك باتجاه حل هذه المشكلة حيث يجب البحث عن حلول ومعالجات وبدائل لنستطيع بها بناء هذا البلد والمبحث الرابع يتولى بحث هذه المسألة .

رابعا - المعالجات والبدائل (استقطاب العلماء والأكاديميين)

بعد دراسة أسباب هجرة الأكاديميين والعلماء من أصحاب العقول المفكرة على مدى العقود الأربع الماضية نحتاج الآن الى التعاطي مع هذه المشكلة في إيجاد الحلول والمعالجات الناجعة لإيقاف هجرة هذا الكنز المعرفي والثروة الضامنة لحاضر ومستقبل مشرق ولأجل تحقيق هذه الغاية علينا وضع إستراتيجية واقعية وموضوعية خاصة للتعامل مع هذه القضية تستند على الآليات الفعالة لبلوغ الأهداف المنشودة التي يمكن تحديدها بإيجاز عبر النقاط الآتية¹⁸ :

1- الحد من النزيف المستمر لعقول العراق المفكرة عن طريق تخطيط علمي وموضوعي وواقعي .

2- إنشاء قاعدة بيانات خاصة تحصر المعلومات التي تتصل بالأكاديميين والعلماء من أصحاب العقول المفكرة ,ويمكن أن تكون ضمن محتويات هذه القاعدة أسماء أصحاب العقول والمؤسسات العلمية التي يملكونها أو يعملون فيها .

3- فتح قنوات الاتصال بين العقول وبلادهم وتعزيزها باستمرار عن طريق دعوتهم لحضور المؤتمرات العلمية وورش العمل ,وإلقاء محاضرات العلمية

الإشراف على البحوث , إقامة مشاريع علمية مشتركة بين العقول المحلية والمهاجرة .

- 4- تشجيع العقول التي لاتسمح لها الظروف التي ولدت نتيجة إقامتها في بلدان المهجر على استثمار طاقاتها في مشاريع متنوعة داخل العراق .
- 5- تشكيل هيئة أو مؤسسة خاصة تعنى بشؤون العقول المهاجرة تكون لها أهداف واضحة وتوجه استراتيجي محدد .

ومن خلال هذا الإطار يمكن وضع المعالجات والبدائل الموضوعية التي من شأنها تحجيم ظاهرة هجرة العقول .

فيما يتعلق بالحاجة الى التخطيط العلمي الموضوعي بهدف الحد من نزيف العقول فعلىنا دراسة كل الجوانب والموضوعات التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالموضوع ومن هذه الموضوعات على سبيل التوضيح دراسة تجارب دول أخرى عانت من هجرة عقولها والنظرالى كيفية تعاملها مع هذه القضية , حيث إن هنالك دول آسيوية قدمت نماذج عمل لاستقطاب عقولها كتايوان وسنغافورة ¹⁹ اللتين أسستا شركات تقنية متطورة داخل أراضيها ودعمها ماديا ونتيجة لذلك تم إنشاء شركات تقنية ناجحة سيطرت على أسواق جنوب شرق آسيا والصين بسواعد العقول التي استقطبتها ومن هذه الشركات (شركة كي ليزر) في تايوان لإنتاج شرائح الهولوجرام المستخدمة في البطاقات المصرفية وجوازات السفر والوثائق الرسمية للحد من تزويرها والعقول التي عادت لتعمل في هذه الشركة هم التايوانيين الذين هاجروا لأمريكا .

كما يمكن دراسة التشريعات المحلية للعراق والنظر في مدى مناسبتها لدعم الأكاديميين والعلماء في الداخل من جهة للمحافظة عليهم والنظر في إمكانية سن تشريعات أخرى تشجع عودة العقول من جهة أخرى وتجدر الإشارة الى قانون رقم (154) لسنة 1974 م الذي أصدرته الحكومة العراقية الخاص بتشجيع عودة الكفاءات , الذي وان كان خطوة مطلوبة لكن ينبغي اقترانها بتهيئة ظروف مشجعة للعودة تقترن معها .

كذلك ينبغي في إطار التخطيط والإعداد العلمي لتحجيم هذه الظاهرة الانفتاح على جميع الهيئات والمبادرات والدعوات الدولية والعربية التي تبنت هذه القضية، كالجمعية العامة للأمم المتحدة التي أصدرت قرارها رقم (3017) بتاريخ 18 كانون الأول/ ديسمبر 1972م الذي تضمن إن أسباب الهجرة تكمن في ظاهرة التخلف الذي تشكو منه الدول النامية وكذلك قرارها رقم (3362) الذي دعت فيه إلى ضرورة السعي لوضع تشريعات وطنية وعالمية لتفادي ظاهرة الهجرة، وكذلك قرار رقم (87) لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية المتعلق بالنقل المعاكس للتقنية الذي تضمن توصية للدول التي تستفيد من هجرة الكفاءات بضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة هذه الظاهرة، وكذلك دعوات ومبادرات اليونسكو التي دعت لإجراء دراسات حول الظاهرة ومعهد الأمم المتحدة للتدريب والبحث²⁰، ومجمل القول إن التخطيط العلمي يستلزم الاستفادة والإحاطة بكل الجوانب المتصلة بالظاهرة لتخرج النتائج ايجابية وملبية للهدف .

والهدف الثاني المتمثل بالقاعدة المعلوماتية يعتقد الباحث أنه شرطاً أساساً لنجاح عملية التواصل والاتصال مع العقول واستقطابها، ولتحقيق هذا الهدف يمكن وضع خيارات عدة منها أن تتولى بعض الوزارات المعنية منها وزارة المهجرين والمهاجرين أو وزارة التعليم العالي أو وزارة العلوم والتكنولوجيا أو من لجنة مشتركة منهم، مهمة إعداد مؤتمرات عامة ودعوة العقول والاتصال المباشر بهم وتدوين المعلومات عنهم في القاعدة المعلوماتية أو بطريق غير مباشر وأقل كلفة، هو الاتصال بالمؤسسات والهيئات التي تتعامل معهم وأخذ المعلومات منها أو عن طريق المؤسسات الإعلامية .

أما الهدف الثالث فتحقيقه يتطلب تنسيقاً مسبقاً مع هيئات تضم العقول أو اتصالاً مباشراً بهم ويمكن في هذا الإطار التعاون مع هيئات دولية لإقامة مثل هذه المؤتمرات كاليونسكو لضمان توفر كل الشروط المطلوبة لنجاحها وتهيئة المناخ اللازم لاستثمار العقول في العراق، وفي تقدير الباحث من أهم شروط تحقيق هذا الهدف هو مراعاة ظروف العقول في المهجر وعدم تمكنهم من العودة السريعة للبلاد لظروف اجتماعية وصحية وغيرها وأهمية وضع بدائل لهذا الأمر

كتنوع أشكال التعاقدات معهم كالعامل بصفة مشرف على بحوث معدة أو إلقاء محاضرات في أزمان وأماكن محددة أو إعداد بحوث تطبيقية لحاجات البلاد أو تدريب الكوادر العراقية في أماكن وجود العقول .

وبالنسبة للهدف الرابع يمكن تنفيذه في حالة توفر الظروف والاستعداد للعقول للعودة في العراق وتنفيذ برامج مشتركة مع الحكومة أو الأفراد كتنفيذ مشروعات الاعمار والبنى التحتية في العراق وتطوير المنظومة الزراعية والصحة والتعليم ببحوثهم وخبراتهم .

أما الهدف الخامس فهو الإطار التنظيمي للإفادة من العقول من جهة وتحجيم ظاهرة هجرتها من جهة أخرى , حيث إن هذا التوجه في بناء وحدة مؤسسية تعنى بإدارة ملف هجرة العقول ووقفها هو أمرا لامناس من تحقيقه وفي تقدير الباحث انه قطبا محوريا يحقق التناسق بين وحدات التشكيل لتحقيق الهدف .

وللوصول الى الهدف يمكن تشكيل دائرة ضمن هيكل وزارة المهجرين والمهاجرين ذات صلاحيات ومسؤوليات واسعة وذات موازنة مناسبة لتحقيق كل الأهداف المذكورة , مع مراعاة تمتع تلك الدائرة بملاك متخصص في هذا الشأن وله باع طويل في التعامل مع هذه القضية كون وزارة الهجرة والمهجرين من الوزارات الفتية حيث أسست في أيلول /سبتمبر من عام 2003م .²¹

وموضوعة هجرة العقول أمرا قديما وجديدا ومتاخلا ,أو أن تكون هذه الدائرة ضمن دوائر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ,وقد قدمت بعض الدراسات مقترحا بتشكيل (وزارة للكفاءات العلمية المهاجرة)²² ,وعند اطلاع الباحث على المقترحات المتصلة بهذه الوزارة المقترحة وجد ان دورها في الغالب دورا تنسيقيا ووجد ان الفكرة يمكن اختزالها في تأسيس هيئة مستقلة أو تلحق في الوزارات المذكورة لمجاعة الواقع العراقي على الأقل في المرحلة الراهنة .

وحتى لو كان الأمر انعكاسا لتجربة مصر في إنشاء وزارة لشؤون المصريين في الخارج فيعتقد الباحث ان هنالك اختلافا بين الواقعين العراقي

والمصري من حيث عدد الفئة المستهدفة في عمل الوزارة وعمومية وزارة شؤون المصريين في الخارج للمصريين المغتربين كما يوضح أسمها ويمكن في هذا الإطار أيضا تشجيع التنظيمات التي أسستها العقول العراقية في المهجر كاللجان المهنية لتنسيق نشاطاتهم كهيئة الكفاءات العراقية في بريطانيا التي أسسوها عام 1984م لتنسيق جهودهم ,وكمنظمة الأكاديميين والاقتصاديين والأطباء ومركز كربلاء للبحوث وغيرها من التشكيلات .

أضف إلى كل تلك الخيارات والبدائل خيارات أخرى تحفز العقول الوطنية داخل وخارج العراق على العمل في هذا البلد والاستثمار فيه كتقديم الدعم المعنوي والمادي للعقول كتحسين نظام المكافآت المالية والترفيهية لتجانس طبيعة المرحلة الحالية ودعم الإسكان والتأمين الصحي والخدمات ووضع نظام أكثر اهتماما بهم كجوائز تقديرية وأوسمة وكتب الشكر والتقدير. ووضع كل ذلك الدعم ضمن توجه حكومي يدعم العقول ويخصص جزءا من الموازنة العامة لتشجيعهم .

كذلك ضمن البدائل إشراك القطاع الخاص الى الاستثمار مع العقول عبر آلية التعاقد معهم لإعداد بحوث للشركات أو الإفادة من اختراعاتهم . ومن الخيارات اللجوء الى منظمات المجتمع المدني المعنية بالأكاديميين والعلماء ودعمها والتواصل معها وحثها أن تكون جسرا بين الداخل والخارج وشريكا في الأعمال الموجهة لوقف نزيف عقول العراق ,إضافة الى تطوير جاهزية العراق العلمية كتطوير المختبرات العلمية وجلب التقنيات الحديثة ونظام الاتصالات الذي حول العالم الى قرية صغيرة.

يبقى القول ان موضوع معالجة هجرة الأكاديميين والعلماء من أصحاب العقول المفكرة يحتاج الى تطبيق منهجية موضوعية ليتم العلاج ومنها الإرادة الجدية و الواقعية في الحل والتسلسل في تطبيق المعالجات أي أن نحدد أهدافنا أولا ثم نخطط لتحقيق الأهداف ثم نعد العدة للتطبيق وبذلك فقط نستطيع إعادة هذه الثروة العلمية والحفاظ عليها فيما بعد .

الخاتمة

يخلص البحث الى أن الهجرة تعني انتقال الإنسان من محل إقامته الى محل بديل , وان مفهوم الأكاديميين والعلماء في مجال البحث ينطبق على الحاصلين منهم على الشهادات العليا ولهم الخبرة الواسعة في مجال اختصاصهم وأنهم أصحاب العقول المفكرة, وتجتمع أو تنفرد أو تتداخل عوامل عديدة تدفعهم الى الهجرة وفي مقدمة تلك العوامل : السياسية في مضمونها الداخلي كتضييق الفكر والحريات وتسييس العلم والعمل , ومضمونها الخارجي الذي يمثله انعكاسات الأوضاع والأحداث السياسية الخارجية على الوضع داخل العراق , وكذلك العوامل الاقتصادية التي تخللها الخط الداخلي الذي يمثله سوء التخطيط الاقتصادي بشكل عام وتداخل العامل السياسي الذي من ضمن ما يحتويه توجيه الإنفاق على البحوث العسكرية على حساب البحوث المدنية مما انعكس سلبا على حياة أصحاب العقول وكذلك الفرق الذي شعرت به هذه الشريحة بينها وبين أصحاب العقول في بلدان أخرى , والخط الخارجي الذي يتضمن تأثير الوضع الاقتصادي والسياسي العام للعالم الذي يؤثر سلبا على حياة أصحاب العقول كحالة فرض الحصار الاقتصادي الشامل على العراق والحرب التي تعرض لها عام 2003م .

وللأسباب الاجتماعية أثرا لا يقل شأنًا عن أثر العوامل الأخرى التي ذكرت حيث أن خصائص البيئة الاجتماعية للعراق التي شكلتها عوامل تاريخية وسياسية واقتصادية والأحداث التي تعرض لها البلد خلال العقود الأخيرة خاصة كان لها دورا أساسا وحاسما في دفع أصحاب العقول المفكرة للهجرة .

أما الآثار الناجمة عن هجرة الأكاديميين والعلماء من أصحاب العقول المفكرة فقد خلص البحث أنها يمكن أن تكون آثارا ايجابية وسلبية , وما يحدد _الى حد كبير_ أثرها السلبي أو الايجابي هو نوع الهجرة اذا كانت دائمة أو

مؤقتة حيث ان الدائمة تعني انقطاع الصلة والارتباط مع العقول من ثم خسارتها والمؤقتة توجد الصلة والتواصل من ثم ضمان الإفادة من إقامتهم المؤقتة في الخارج .

فالآثار الايجابية تتركز في الخبرة والمجال الواسع الذي يكتسبه أصحاب العقول من دول المهجر وكذلك الكسب المادي والتخفيف من مشكلة البطالة، أما السلبية فهي خسارة تلك العقول بعد تكفل الدولة المادي لإعدادها وتعطل خطط التنمية وضعف البحث العلمي وفراغ البلد من محتواه العلمي والضامن لتقدمه وتفوقه إضافة الى ما تتكبده الدولة من مبالغ باهظة نتيجة اضطرارها استقدام خبرات أجنبية للعمل .

وفيما يتعلق بمعالجة هذه الظاهرة فينبغي القيام بتحديد الأهداف وجملة من المهام للحد من هذه الظاهرة الى الحد الايجابي منها ,ومن أهم تلك المهام القيام بتخطيط علمي وموضوعي وواقعي للحد من نزيف العقول ويمكن في هذا الإطار الإفادة من تجارب مقارنة لهذه القضية والانفتاح على المؤسسات والمبادرات العربية والعالمية والتعامل معها ودراسة التشريعات الحالية واقتراح التشريعات اللازمة لإيقاف نزيف العقول ,إضافة الى ذلك وضع قاعدة معلومات لكل ما يتصل بالعقول كونها اداة للاتصال والمعلومات لأي مبادرة يراد لها النجاح فيما يتعلق بهجرة العقول والتعاون مع الجهات المعنية لتحقيق ذلك ,ومن المهام إقامة قنوات اتصال مع العقول كعقد المؤتمرات وورش العمل وعقد الشراكات العلمية والعملية معهم لضمان الإفادة منهم ,ومما يركز عليه البحث هو إنشاء مؤسسة أو هيئة مستقلة أو مرتبطة تنظيميا تعنى بكل شؤون العقول المفكرة لضمان تهيئة المستلزمات المادية والتشريعية والتنظيمية لنجاح هذه المهمة .

ومن نافلة القول إن مشكلة هجرة أصحاب العقول على الرغم من أنها ظاهرة عربية وعالمية الا إنها تشكل تحديا حقيقيا للعراق ومؤسساته وشعبه خاصة , كونها كما أسلفنا تشكل ضمانا لرفاهه وتقدمه واستقلاله وقوته من

جهة ,وكونه يمثل أحد أهم المخارج من الظرف الحالي الحساس الذي يمر به من جهة أخرى .

الهوامش

1. قاموس المعني الأكبر الجديد : الكرمي :حسن سعيد : :بيروت -لبنان: 2007 :ص6
2. لسان العرب: ابن منظور : الجزء الثاني عشر: الطبعة الأولى : دار الكتب العلمية بيروت -لبنان:2003م :ص484
3. العقول العراقية المهاجرة بين الإستنزاف والإستثمار البروفيسورأحمد , نادر عبد الغفور , الطبعة الأولى:مؤسسة الرافد ::2003م :ص21 .
4. ينظر التنمية وهجرة الأدمغة في العالم العربي : الصوفي ولد الشيباني ولد ابراهيم الطبعة الأولى:مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية:العدد 48 :: 2001 .
5. ينظر الصوفي ولد الشيباني ولد إبراهيم ص12 :مصدر سبق ذكره .
6. العقول العراقية المهاجرة بين الإستنزاف والإستثمار البروفيسورأحمد , نادر عبد الغفور , :ص39 :مصدر سبق ذكره .
7. ينظر الصوفي ولد الشيباني ولد ابراهيم ص47-48 :مصدر سبق ذكره .
8. وزارة المهجرين والمهاجرين : دائرة المعلومات / دائرة المعلومات / قسم الاحصاء :كراس احصائية بأعداد العراقيين خارج العراق :2007 م
9. العقول العراقية المهاجرة بين الإستنزاف والإستثمار:ا لبروفيسورأحمد , نادر عبد الغفور , :ص27 :مصدر سبق ذكره .
10. حلم الهجرة للثروة :النجار ,باقر سلمان : :الطبعة الأولى:مركز دراسات الوحدة العربية:بيروت :2001 :ص42 .
11. البحث العلمي في العالم العربي ,ودور الجامعات ومسؤوليتها :عادل نبيه : مجلة شؤون عربية ,العدد 72,القاهرة :1992:ص51.
12. اثار الحصار على العراق : شحاتة ,امين ::بحث منشور على الأنترنت : وعلى موقع : www.aljazeera.net : 2010/11/7م : الساعة العاشرة وعشرين دقيقة .
13. البروفيسورأحمد , نادر عبد الغفور :ص25-26 :المصدر السابق .
14. هجرة العقول العربية : مؤسسة فلسطين الدولية للأبحاث : :بحث منشور على الأنترنت : www.islamweb.net :الأحد :بتأريخ :2010/11/7م :الساعة الثانية مساء .
15. هجرة العقول البشرية من الدول العربية إلى الدول المتقدمة" الأسباب والنتائج"دراسة خاصة عن مصر: د.الحسيني عمار :منى محمد :: دراسة منشور على الأنترنت : على

موقع: alalamy.hooxs.com : بتاريخ: 2010/11/8م الساعة الحادية عشرة صباحا

16. البروفيسور أحمد , نادر عبد الغفور :ص44 :المصدر السابق .
17. وزارة المالية :دائرة الموازنة : العام 2009م .
18. ينظر البروفيسور أحمد , نادر عبد الغفور :ص56 :المصدر السابق
19. المصدر السابق ص60 .
20. ينظر الصوفي ولد الشيباني ولد ابراهيم ص 65 -66 مصدر سبق ذكره .
21. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي :جامعة البصرة :كلية الادارة والاقتصاد ,مجلة دراسات ادارية :المجلد 2:العدد 4 التاريخ اب /2008م .
22. ينظر البروفيسور أحمد , نادر عبد الغفور :ص81 :المصدر السابق

المصادر

- 1- القران الكريم .
- 2- ابن منظور ,لسان العرب ,دار الكتب العلمية ,بيروت- لبنان , 2003 م .
- 3- حسن سعيد الكرمي ,قاموس المغني الأكبر الجديد ,بيروت-لبنان , 2007م .
- 4- البروفيسور نادر عبد الغفور أحمد ,العقول العراقية المهاجرة بين الإستنزاف والإستثمار ,مؤسسة الرافد , 2003م .
- 5- ولد الشيباني ولد ابراهيم الصوفي ,التنمية وهجرة الأدمغة في العالم العربي ,مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية , 2001م .
- 6- باقر سلمان النجار ,حلم الهجرة والثروة ,مركز دراسات الوحدة العربية ,بيروت -لبنان , 2001م .
- 7- عاقل نبيه , البحث العلمي في العالم العربي ودور الجامعات ومسؤوليتها, مجلة شؤون عربية, القاهرة , 1992م .
- 8- وزارة المهجرين والمهاجرين ,كراس إحصائية بأعداد العراقيين خارج العراق , 2007م.
- 9- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ,جامعة البصرة ,مجلة دراسات إدارية , 2008م .

الأبحاث المنشورة على الأنترنت

- 1- مؤسسة فلسطين الدولية للأبحاث :هجرة العقول العربية :بحث منشور على الموقع www.islamweb.net : بتاريخ: 2010/11/7م .

2- منى محمد عمار , هجرة العقول البشرية من الدول العربية إلى الدول المتقدمة" الأسباب والنتائج"دراسة خاصة عن مصر. الموقع : alalamy.hooxs.com : بتاريخ 2010/11/8م .

3- أمين شحاتة , اثار الحصار على العراق, وعلى الموقع : www.aljazeera.net : 2010/11/7م .

4- عمار الحسيني -منى محمد , هجرة العقول البشرية من الدول العربية إلى الدول المتقدمة" الأسباب والنتائج"دراسة خاصة عن مصر: دراسة منشور على الموقع : alalamy.hooxs.com : بتاريخ 2010/11/8م .